مجلة جامعة الخليل للبحوث
المجلد (2)، العدد (2)، ص (66-82)، 2006

الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

الأثرُ السياسِيّ والعَقَديّ في شِعر ثابت قُطْنَةِ

محمد دوابشة*
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة العربية الأمريكية، جنين - فلسطين.

الملخــص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على شعر الشاعر الأموي ثابت قطنة (ت 110هـ) ، وإبراز جانبين هامين ساهما بشكل واضح في توجيه شعره وانعكسا في ديوانه، وهما : الجانب السياسي ، الذي كانت تموج به دولة بني أمية ، وكان يحرك عقل الشاعر وعواطفه تجاه هذا الحزب أو ذاك ، ومدى انعكاس هذا الجانب في شعره ، لا سيما في موضوعي المدح والهجاء ، والجانب العقدي ، وهو انعكاس للجانب السياسي ، الذي نشأ بسبب الاختلافات في الرؤى والتأويل ، حول قضية جدلية ، ثارت حولها هذه الاختلافات ، وهي مسألة الخلافة ، وسيحاول البحث ربط هذين الجانبين بعلاقة الشاعر بالحزب الحاكم من جانب ، والعصبية القبلية التي كانت تفرض نفسها أحيانا عليه من جانب آخر .

Abstract:

This research aims to discover two sides From Thaabit Qutni poem, which clearly shows, the political nature of poetry during the Umayyad period, this aspect of poetry moves his mind and heart , and was clearly reflected in his poems . Ideology, which is the other aspect of political system, due to different visions and interpretations about Khilaafa.

This research will try to see the relations between the poet and the ruling party in terms of tribal traditions.

---

* **بريد الباحث الإلكتروني:** mdawabsheh@aauj.edu

المقدمـــــة:

عاشت الدولة الأموية بين مد وجزر في معظم فتراتها ؛ بسبب العصف السياسي الذي انفردت به عن غيرها من العصور، وعهدت أمورا لم يعهدها العصر الإسلامي السابق ، وأحدثت بدعا لم يكن للمسلمين بها عهد من قبل ، ولا مجال للحديث عنها وعن أسبابها في هذا البحث، والعصف السياسي الذي ميز الدولة الأموية عن غيرها، انعكس إيجابا أو سلبا على الشعراء وشعرهم، ومنهم ثابت قطنة، فقد نشأ في هذا الجو الممتزج بالخلافات السياسية والصراعات الفكرية والمذهبية المتطاحنة حول مسألةالخلافة، وكان متعصبا للأزد[1]، الذين سكنوا البصرة ، التي كانت مركز المعارضة منذ بداية الصراع بعد مقتل عثمان ، واستمرت في مناوأة الأمويين ردحا من الزمن، فالأثران السياسي والعقدي لا يمكن فصلهما عن حياة شاعرنا؛ لأنهما الأساس الذي انطلق منهما ، مؤيدا أو معارضا، مادحا أو هاجيا.

وكانت آراء الشعراء تضيع أحيانا في ظل النفوذ السياسي ، وتتبدد في غمرة الأحداث في أحايين أخرى ، ويكتب لها البقاء في الذهن، إذا وجد من يستطيع الاحتفاظ بها ، واستطاعت هذه الآراء أن تشق الظلام عبر الزمن على الرغم من قسوته وسطوته ، وتمكنت من الدفاع عن وجهات النظر المختلفة التي آمنت بها ، حتى أصبح هذا الفيض الشعري الذي خلفته الحركة الفكرية في العصر الأموي ، لا يمثل الجانب الأدبي وحده ، وإنما هو انعكاس حقيقي لقدرة الأمة الفكرية ، وبلورة آراء محددة عند حامليها ؛ لما تؤديه هذه الحركة من نتائج ، وتقدمه من معطيات ، وقد أفلح العرب والمسلمون في العصر الأموي في هذا التصور ، واستطاعوا أن يقدموا الثمرات الفكرية التي سادت العصور ، والنتائج التي تمخض عنها الصراع الفكري من خلال النقاش الحاد ، والصراع العقدي الذي انتشرت أفكاره ، منذ ذلك العصر حتى اليوم .

وأخبار ثابت قليلة، في أمهات الكتب ومراجعها [2] ، ولعل هذه الكتب اعتمدت على البيت الشعري الذي يقول :

لا يعرفُ الناسُ منهُ غير قطنته
وما سواها منَ الأنسابِ مجهولُ[3]

وهذا البيت يحمل دلالتين : الأخبار القليلة عن الشاعر ، والنسب المجهول له ، وهذا يشير إلى أنه لم يكن ينتمي للأزد ،بل " كان من موالي بنى أسد بن الحارث بن العتيك ، وأنه لم يكن أزديّاً صليبة، فقد كان في نفسه يدرك انقطاع نسبه ويتوقّى الغمز فيه" [4]، ويروي صاحب الأغاني أن ثابت قطنة هو الذي قال هذا البيت – لا يعرف الناس .... البيت __ في نفسه، وقال هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أني قائله فقالوا: ويحك ما أردت أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا، فقال: لابد من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقته إليه، فقالوا له : أما هذا شر قد تعجلته ولعله لا يقع لغيرك ،ويذكر أنه استشهد بهؤلاء النفر عندما هجاه به حاجب بن ذبيان المازني على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يرد على حاجب بقوله:

هيهاتَ ذلك بيتٌ قد سبقت به
فاطلَبْ له ثانياً يا حاجبَ الفيلِ[5]

أولا : الأثر السياسي:

إن ما يميز العصر الأموي عن بقية العصور تلك الصبغة السياسية التي ميزته عن غيره، لظروف خاصة ، انفرد بها دون غيره ، فنادرا ما نجد شاعرا في العصر الأموي قد ابتعد عن السياسة والخوض فيها ، حتى شعراء الأغراض التقليدية، نراهم قد وقعوا بقصد أو غير قصد في غمار السياسة التي فرضت نفسها على شعر كثير من الشعراء في ذلك العصر، فراحوا يؤيدون أو يعارضون ، معتمدين على أفكارهم الخاصة ، أو ما تمليه عليهم سياسة

الدولة ، فقد "أدى تصارع الأحزاب وتطاحنها إلى ازدهار الشعر السياسي، أو قل الشعر الحزبي الذي يستند إلى الايدولوجية الاسلامية لانطلاقه في حزبيته من العنصر الروحي ومن وظيفة الخلافة الدينية والزمنية" [6] .

كثرت الفتوحات في العصر الأموي ، ومن هذه الفتوحات فتح خراسان [7] ، وثابت قطنة قضى معظم حياته فيها التي يعتقد بأن العرب تضعضعوا بها " عندما احتدم الصراع على الخلافة بين علي و معاوية ، وأنهم أخلوا بعض المناطق التي احتلوها ، وتجمعوا في الأقاليم التي كان سلطانهم لا يزال قوياً فيها ، غير أنهم لم ينسحبوا من خراسان كلها ؛ لأن المؤرخين لا يتحدثون عن فتحها مرة ثانية في أيام معاوية ، وإنما يتحدثون عن إعادة تنظيمه لشؤونها وتعيينه ولاة جددا على أهم مقاطعاتها " [8] .

وقد تسابق الشعراء للالتفاف حول الأحزاب آنذاك ، وأخلصوا لها ، فقد كان الأخطل- على سبيل المثال- مخلصاً لبني أمية كل الإخلاص ، فلم يتركهم حتى مات ، ولم يتصل بأحد سواهم، وعلى نحو ما كان زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي وعمرو بن العاص دعائم للدولة الأموية في السياسة والإدارة والحكم ، يلتزمون قضيتها ، ويعملون لها بأقصى الحزم والإخلاص ، كذلك كان الأخطل دعامة كبرى للحكم الأموي، لا تقل قوة وصلابة عن تلك ، والتزامه قضية بني أمية يقوم على الكلمة الشعرية، وهو من أكبر فحول الشعر في ذلك العهد،وإذا علمنا ماكان للشعر من أهمية في حياة العرب آنذاك ، وما كان له من رواج خلقته السياسة الأموية عن قصد، ومن دور إعلامي وروحي في المجتمع ، بحيث أصبح الشعر من أقوى الأسلحة التي تستخدمها الأحزاب في صراعها، أدركنا قيمة الأخطل ومكانته ودوره في التزامه سياسة الحزب الأموي عن وعي وقصد ومعرفة بأهمية الكلمة وفعلها في النفوس وقدرتها على النفاذ والتأثير [9]، وهناك غيره من الشعراء الذين لزموا أحزابهم، ودافعوا عنها ، فمن صور الالتزام في الشعر للحزب وفكره ما قاله عمران بن حطان في التزامه في فكر الخوارج :

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغضاً
وحبًّا للخروجِ أبو بلالِ [10]

وما قاله ابن قيس الرقيات في التزامه في فكر الزبيريين :

أناعنكُم بَنِي أميةَمُزْوَرٌ
وأنتم في نفسي الأعداءُ[11]

وما قاله الكميت في التزامه في فكر الشيعة :

أهوَى علياً أميرَ المؤمنين ولا
أرضَى بشتمِ أبي بكرٍ ولا عمراً [12]

ومثل هؤلاء الشعراء وغيرهم كان ثابت قطنة ، فقد كان مخلصا لحزبه السياسي الذي وضع نفسه فيه ، وارتضى لنفسه أن يسير في ركابه ، فقد شارك المهلب بن أبي صفرة في حربه في خراسان ، وعندما توفي رافق ابنه يزيد ومدحه[13]، وكان يزيد محبا له ، واثقا بكفايته وشجاعته [14]، يقول في يزيد بن المهلب [15]:

أبا خالدٍ زدتَ الحياةَ محـبةً
إلى الناسِ أن كنتَ الأميرَ المتوَّجَـا
وحقَّ لهم أن يرغبوا في حياتهم
وبابك مفتوحٌ لمن خاف أو رجَـا
يزيد الذي يرجو نداك تفضُّلا
وتؤمن ذا الإجرام إن كنت محرجَـا [16]

ويقول في كرم آل المهلب وعطائهم وسخائهم :

أمَّكَ عَيْرٌ أيها الأميرُ
يحملُ من ليسَ لهُ مجيرُ
وقد أتى لوقته الحرورُ
وأوقدت نيرانها العبورُ
وفار منها لهب مسجورُ [17]

ونرى في شعره سياسة يزيد بن المهلب اللينة اليسيرة ، التي تقرب الناس منه، وهي سياسة قريبة من سياسة حكام بني أمية بشكل عام، إذ حاول

شعراء الحزب الأموي التدليل على أنهم أفضل الناس للحكم، فلم يجد الشعراء الأمويون ملاذا من اللجوء إلى استخدام بعض الألفاظ الدينية ،ويسبغونها على خلفائهم، ويثبتونها خلال مدائحهم فيهم وفي أنصارهم، وسار على منوالهم المهلب ، إذ كان يحيط نفسه بعدد من الشعراء الذين لزموه ، وأخذوا يمدحونه[18]، فعندما استعمل الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي[19]على خراسان ، وعزل آل المهلب عنها ، وضيق عليهم وطاردهم – ولأنه جرد قبيلته الأزد من المناصب – حقد عليه ثابت ، وبغضه ، بل وقل شعره في تلك الفترة ، يقول في هجاء قتيبة :

تسامون كَعبا في العلا وكلابها
وهيهات أن تلقوا كِلابا ولا كَعـبًا [20]

ومنذ أن ولى الحجاج المهلب بن أبي صفرة خراسان عام 78هـ ، كثر عدد الأزد فيها

وأصبح لهم لذلك شأن في الأحداث القبلية التي شهدتها خراسان فيما بعد ، وقد ظهرت بوادر مشاركة الأزد في الخصومات القبلية منذ عهد المهلب نفسه ، فقد وقع شر بين الأزد وعبد القيس[21] اتصل بسببه الهجاء بين كعب الأشقري[22] وزياد الأعجم[23] ، وحسم الشر على يد المهلب الذي تحمل ديات الفريقين وأطفأ الفتنة[24] .

ووقعت فتنة عامة في خراسان عام 96 هـ ،اجتمعت فيها كلمة القبائل كافة على قتيبة بن مسلم وعشيرته باهلة[25] قليلة العدد ، وكان في ظن قتيبة ، أنه لا يكاد يعلن خلعه لسليمان بن عبد الملك حتى تبادر جميع قبائل خراسان إلى تأييده والالتفاف حوله ، ولكن هذه القبائل خيبت أمله ، ولم تظهر أي تحمس لما دعاها إليه ، فلم يكن ثمة ما يحملها على خلع سليمان، وقد بايعته سائر الأمصار ، وما كان للأزد وربيعه[26] أن ترضيا برجل من قيس[27] مكان رجل من قريش ، بل أن مضر[28] نفسها، كانت كارهة لأمر قتيبة ، فبنو تميم[29] الذين كانت لهم الكثرة العددية بخراسان كانوا ساخطين على قتيبة؛ لقتله آل الأهتم[30] ولصرفه الرياسة عن وكيع بن حسان[31] ، وجعلها في ضرار بن حسين الضبي[32] ، وبنو عامر[33]كانوا ناقمين كذلك على قتيبة؛ لأنه كان قد جفاهم ، وقد ارتكب قتيبة خطأً كبيراً حين وجه إلى قبائل خراسان خطبة عنيفة مليئة بالشتائم والإهانات للأزد وربيعة ومضر والموالي ، فوحد بذلك كلمة هذه القبائل عليه ،وحال دون انتصار المضرية له ، وحمايتها إياه [34] .

هذه التناقضات والخلافات في الرؤية والفكرة ، وجدت صداها عند ثابت قطنة، فلم يكن غريبا عليه أن يقدم لنا صوراً صادقة لمشاعره، وهي تتدفق حساً وعاطفة ، فكما كان اندفاعه في تخليد يزيد وأبيه صادقاً ، كانت قدرته على تصوير بسالة خصومه صادقة أيضا ، وكانت مشاعره في تثبيت ولائه لآل المهلب صادقة كذلك ، ولهذا كانت أحاسيسه واضحة ، وصوره مميزة ، يجمعها الربط المحكم ، وتشدها الأواصر المشرقة ، فمديحه لآل المهلب لا يمثل المديح الذي يمكن أن يوصف به الآخرون ؛ لأنه مديح يأخذ شكلا آخر ، مديح ينطلق من قدرة الممدوح على التضحية ، ووقوفه على خط النار الذي يفصل بينه وبين خصوم يتحينون به الفرص ، وكان يكسو المديح بأردية الحرب كالقدرة على الصولان ، واجتياز الصعاب ، والفتك بالخصوم ، وانتزاع النصر ، ويستمد من علو نسب الممدوح ، وامتداد أصله ، ورفعة منزلة آبائه عناصر يستخدمها في توشيح خصاله، يقول :

سَما بالخيلِ في أكناف مروٍ
وَتوفزهن بينَ هَلا وَهَـابِ
هَدانا الله بالقتلى تَراها
مُصلبةً بأفواهِ الشـعابِ
مَلاحم لم تدعْ لسراة كلب
مـهاترة ولا لبني كـلابِ
فأوردَها النهابَ وأب منها
بأفضل ما يصاب من النـهابِ[35]

ويقول في أسد بن عبدالله :

أرَى أسدا في الحربِ إذ نزلت به
وقارعَ أهلَ الحربِ فاز وأوجَبَا
تناولَ أرضَ الشبلِ خاقان ردءه
فحرق ما استعصى عليه وخربَا
بنى لك عبدالله حصـنا ورثته
قديما إذا عد القديم وأنجَبَا[36]

وهو مديح خالص لا تثيره الصلات المادية التي تعود عليها بعض الشعراء ، أو تلك النزوة التي تنتاب بعض الممدوحين ، فيسبغونها على شعرائهم، فتتحول الأماديح الى أهاج ، أو عتاب لاذع ،تتراكم فوق معانيه سحب الشك وإن هذا الصدق الذي وقف عنده الشاعر ، وهو يراقب الأحداث ، ويتطلع الى الملامح التي كانت تعادل جوانب الصراع ، لم يقف حائلا دون إحساسه ، وهو إحساس الدولة ، وإحساس الرجال الذين ارتبط بهم الشاعر ، كما في قوله :

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة
ولا ملك ممن يعين على الرفدِ
ولا فاعل يرجو المقلون فضله
ولا قائل ينكا العدو على حقدِ
لو ان المنايا سَامَحت ذا حفيظة
لأكرمنه أو عجن عنه عَلى عمدِ [37]

لم نر في شعر ثابت ذلك الشعر الكاذب ، أو المديح القائم على أساس التكسب أو المبالغة المفرطة ، على الرغم من بروز هذه الظاهرة في تلك الفترة، بحيث أصبحت سمة من سماتها ، فالفرق بينه وبقية الشعراء ، أن مدحه قد خلا من المبالغة المفرطة التي امتاز بها بعض شعراء العصر ، فلم نرَ في شعره مثلا ، مثل قول جرير في عبدالله ابن مروان:

لولا الخليفةُ والقرآن يقرؤهُ
مَا قامَ للناسِ أحكامٌ ولا جُمَعُ
أنتَ الأمينُ أمينُ الله لا سَرفٌ
فيما وليت ولا هَيابة ورعُ
أنتَ المباركُ يهدي الله شيعته
إذا تفرقت الأهواء والشيعُ
يا آلَ مروانَ إنَّ الله فضَّلكم
فضلاعظيما على مَن دينه البدعُ[38]

أو مثل قول الفرزدق في مدح يزيد بن عبد الملك:

ولو كانَ بعدَ المصطفى مِن عبادِه
نَبـِي لهم منهم لأمر العَزائمِ
لكنتَ الذي يختارهُ اللهُ بعـدَه
لحملِ الأماناتِ الثقالِ العظائمِ
ورثتُم خليلَ الله كلَّ خزائـنه
وكـلَّ كتابٍ بالنبوةِ قائـمِ
بحكم الذي فوق السماوات عرشه
بما في ثرى سبع من الأرض عالم[39]

وأما مدح الخلفاء الأمويين والتغني بفضائلهم، فكان يرضي كبرياءهم وحبهم للزهو والظهور والرياسة، ولكن ليست هذه هي الغاية الأولى التي جعلتهم يستقدمون الشعراء المداحين،ويغدقون عليهم الأعطيات، بل كان همهم في ذلك المعترك، وغير خفيّ ما كان للشعر في نفوس العرب من تأثير، والعهد غير بعيد عن الجاهلية، والقبيلة قد عادت إلى الظهور بعد أن كان الإسلام قد خنق صوتها، فكان الشاعر بمثابة داعية إلى الالتفاف حول بني أمية، ولو كان مديحه صادرا من لسانه، ولو كان هو أيضاً من المعارضين.

فالأمويون يعرفون من يؤيدهم ومن لا يؤيدهم، ومع ذلك فقد كانوا يعمدون إلى مختلف الوسائل كي يجتذبوا إليهم زعماء المعارضة، وكانوا يجيزون الشعراء على مديحهم مع علمهم بأنهم متشيعون أو أنهم ميالون إلى الزبيريين أو إلى الخوارج، ولعلهم كانوا يعلقون أكبر الأهمية على صدور الأشعار المتمدحة بهم عن أعدائهم؛ لأنها تكسبهم نصراً في أعين الناس- هذا بالإضافة إلى شعراء كانوا مخلصين لبني أمية وكانوا يقفون إلى جانبهم في كل مسألة [40] ، بينما مديح ثابت قطنة في آل المهلب يقوم على صفات الشجاعة والكرم والنباهة الحماسية منذ

الصغر [41] :

كَم من كميّ في الهياج تركته
يهوي لفيه مُجَـدَّلا مقتولا
جللت مفرق رأسه ذا رونق
عضْبُ المهزَّة صارماً مصقولا
قدت الجياد وأنت غرٌّ يافع
حـتى اكتهلت ولم تزل مأمولا
كَم قد حربت وقد جبرت معاشراً
وكم امـتننت وكم شفيت غليلاً [42]

ومدحه لهم كان نوعا من إظهار الولاء للحزب دون مبالغة ، وقد ذابت الأنا الفردية في مدحه ، وحلت محلها نحن القبلية على عادة الشعراء الجاهليين، ولا غرابة في ذلك، فعصره قريب من العصر الجاهلي من جانب ، ومن آخر، فقد عادت العصبية القبلية إلى سابق عهدها في العصر الأموي ، العصبية بين القبائل العربية ، وبينها وبين الموالي ، الأمر الذي أدى بدوره لظهور الشعوبية فيما بعد ، فقد نزلت قبائل العرب خراسان واستوطنتها حاملة معها عصبياتها وخصوماتها القبلية ، فلم تستقر أقدام العرب فيها حتى هاجت الفتن بينهم؛ بسبب التنازع على السلطان السياسي فيها، وما سيتبعه من مغانم مادية ، وقد ظهر التنافس أول الأمر بين القادة، الذين تم على يدهم فتح خراسان ، ثم اتخذ النزاع طابعاً قبلياً ، بعيد وفاة يزيد بن معاوية ، فالاضطراب السياسي الذي عم أرجاء بلاد الشام والعراق في تلك الحقبة، ثارت ريحه في خراسان أيضاً ، وثارت العصبية فيها بين المضرية والربعية [43]، وبدافع ارتباط ثابت القبلي الأصيل ، واتصاله المتين بالوشائج القبلية، فهو لم ينس قومه ، وهو يتحدث عن الحرب ومواطنها ، والمعارك وسطوتها، فكان يثني عليهم بما يرفع قدرهم ، ويجعلهم خيار القوم الذين يبتغون مجدهم بالسيوف؛ لأنهم معاقل العز التي يلاذ بها .

يقول في رثائه ليزيد بن المهلب:

وإنا لعطّافون بالحلم بعـدمَا
نرى الجهلَ من فرطِ اللئيم تكـرمَا
وإنا لحلالون بالثغرِ لا نـرَى
بـه ساكنا إلا الخميس العرمـرمَا
نرَى أن للجيران حقاً وحرمـةً
إذا الناس لم يرعوا لذي الجارِ محرمَا
وإنا لنقري الضيفَ من قمعِ الذرى
إذا كـانَ رفد الرافدين تجشـمَا [44]

فهذا النوع من الشعر يعكس قيمة إنسانية موجودة في الشعر الجاهلي، فلم يكن وليد نهضة فكرية حديثة ، ثم بإمكان أي شاعر قوله، وبالتالي أرى أن الشاعر هنا لم يكن صادقا في عاطفته في رثاء يزيد بن المهلب في هذه القصيدة[45] ، بدليل أن عدد أبيات القصيدة ، قد بلغ تسعة عشر بيتا، لم يتحدث عن المرثي فيها إلا في الخمسة الأبيات الأولى ، بينما راح يفخر بقبيلته في بقية أبياتها.

وهناك قصيدة أخرى ، وهي التي قالها عند سماعه بمقتل يزيد بن المهلب ،ونتوقع منه أن يكون صداها أعمق في نفسه ، ووقعها على الآذان أبلغ ، وجاءت على البحر الوافر، لم يخل بيت من أبياتها الأحد عشر من الحديث عن نفسه ، ولم تخل القصيدة كاملة لرثاء يزيد ، بل نجد بيتا واحدا يبدي فيه وجهة نظره صراحة ، وهو البيت الخامس ، فيرى فيه أن قتل يزيد ومن معه كان حراما، ثم يعود للحديث عما سيفعله ؛ للثأر له ، وهذا ما يجعل هذا الرثاء رثاء سياسيا ، لا يعبر عن عاطفة الشاعر تجاه الفقيد ، فهو يفتقر للصدق الانفعالي، شأنه في ذلك- في هذه القصيدة- شأن بقية الشعراء المتكسبين ، ألم يكن واليا على ثغور خراسان لأبيه المهلب فترة من الزمن ، وكان محظيا عنده .

وقد تنوع الهجاء عنده بين هجاء عام وخاص ، فعندما عزل الحجاج[46] يزيد بن المهلب ، وولى قتيبة بن مسلم الباهلي، هجاه ثابت قائلا:

توافتَ تميم في الطعانِ وعرَّدت
بُهيلة لما عاينت معشرا غـلبَا
كُماةٌ كفاةٌ يرهب الناس حدَّهم
إذا ما مشوا في الحربِ تحسبهم نكبَا
تسامون كَعبا في العلا وكلابها
وهيهات أن تلقوا كِلابا ولا كَعـبَا[47]

، وتمثل هجاؤه العام في هجاء قبائل بعينها، أو فرع عليها، كما في هجائه لبني يشكر:

كُل القَبَـائِلِ مِن بَكر نَعدهـم
واليشكريون منهم الأم العربِ
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت
بيشكر أمـه المعرورة النسبِ
حّاكم عن حياض المجد والدُكم
فما لكم في بني البرشاء من نسبِ
انتم تحلون من بكر إذا نسـبوا
مـثل القراد حوالي عكوة الذنبِ
نبئت أن بني الكوّاء قد نبحـوا
فعل الكلابِ تتلّى الليث في الأشبِ[48]

وجاء هجاؤه عصبيا ، فالعصبية السياسية واضحة في الأبيات ، وكانت عنصرا هاما من عناصر السياسة الأموية ، استغلها الأمويون لصالحهم ، وثابت كان يتعصب للأزد تعصبا شديدا [49] ، الذين كانوا يشغلون أحيانا بحروب الترك ، ولا يهدؤون، وينصرفون قليلا عن حربهم ؛ حتى يتحاربوا فيما بينهم حربا مريرة ، وهي حرب عادت فيها العصبيات جذعة [50] ،فكان لسان حالهم يقول:

أنَا مِن النفرِ الذين جيادهم
طَلعت عَلى عاَد بريح صرصرِ
وسلبن تَاجَي مَلك قَيصرَ بالقنا
واجتزن بابَ الدرب لابن الأصفر[51]

فقد شهد العصر الأموي حركة إحياء شاملة لكل ما شهدته حياة السلف في العصر الجاهلي ، وأخطر ما في هذه الحركة تلك العصبيات ، وخاصة في إقليم خراسان ، الذي تحول إلى بؤرة احتواء لصور تلك العصبيات[52] .

وكان هجاؤه أحيانا يعتمد على حالته النفسية ومزاجه الشخصي ، فمرة يمدح شخصيا ، ما يلبث أن يهجوه، ويمكن تفسير ذلك بالحالة النفسية التي يمر بها الجندي المقاتل ومن خلال ترابط الأحداث والصور بعضها ببعض؛ لأن قصائد الشاعر مبنية على أساس العلل النفسية التي تربط بين أحداثها بالمجتمع وما يدور فيه ، وفق قانون الترابط ، بحيث تتدرج أحداثها تدريجياً إلى أن تعطي الصورة الكلية المضمون الحدث العام في القصيدة ككل، وفق وحدة المشاعر التي تنبعث منه، " ويدل ذلك من غير شك على أنه كان مشتت الفكر ، متناقض السلوك متأرجحاً بين النزعة الانسانية والنزعة القومية ، ولكننا نقطع استئناساً بأشعاره أن كل تلك الاتجاهات الفكرية والدينية، والإنسانية والقومية كانت طارئة على ثقافته وشخصيته ، ضعيفة التأثير في نفسيته ، ولذلك فإنها إنما حملته على الإلتزام ببعض المواقف النظرية ، أو العملية إلى حين قصير أما العامل الأساسي الذي شكل ثقافته وشخصيته وسلوكه ، فهو التراث الجاهلي القبلي ، فقد اتخذ على طول حياته جانب قومه من الأزد ، و تطوع للدفاع عن مصالحهم ومنافعهم وأهدافهم ، فكان دائماً متحيزاً لهم مفتخراً بهم ، مقدماً إياهم على كل القبائل ، كما حث المهالبة على العمل الجاد لهدم دولة بني أمية"[53].

وأرى أن سلوكه كان منطقيا وطبيعيا ، وبخاصة عند رجل محارب ابتعد عن أرضه، ومسقط رأسه ووطنه، وحمل فكرة تختلف عن باقي أفكار من حوله، وهي فكرة المرجئة ، فقد عاش التناقض النفسي والصراع الداخلي ، الذي وجد صداه في شعره ، فقد مدح أسد بن عبد الله[54] أحد القواد في خراسان بقوله:

أرَى أسدا تَضمنَ مفظعات
تَهيبها الملوكُ ذَوو الحـجابِ
إلى غورين حَيث حَوى أذب
وَصكّ بالسيوفِ وبالحـرابِ
وَكَانَ إذا أنَاخَ بِدار قَوم

أرَاها المخزيات من العذابِ [55]

ولكنه ما لبث أن هجاه في قوله :

أرَى كُل قومٍ يعرفونَ أباهُم
وأبو بُجيلةَ بينهم يتذبذب
إني وجدت أبي أباك فلا تكن
اِلبا عليَّ مع العدو تجلب
أرمِي بِسهمي مَن رَمَاكَ بِسهمه
وَعدو من عاديت غير مكذَّب
أسدُ بن عبدالله جلَّ عفوهُ
أهل الذنوب فكيف من لم يذنب[56]

وهذا الشيء ولد فيه روح الشعور بالغربة النفسية المتجسدة في إيمانه بالخوف من المصير، فحاول أن يحقق وجودا آخر غير الوجود الذي يقلقه ويؤرقه ،فلم يجد بدا من اللجوء إلى السياسة بما يرمز إليه من موضوعات يكون فيها عالمه الثاني ، فجاءت موضوعاته بما تحمله من دلالات وسيلة للتغلب على أحزانه .

فكان الصراع الداخلي، وحالة التقلب النفسي أثرين من آثار العصر الأموي، وصدى له ، فوجود هذا الشاعر في خراسان، كان نتيجة لتلك الأوضاع غير الطبيعية التي وجد المسلمون أنفسهم فيها، والتي باعدت بين ما هم فيه وما كان ، فهو مغترب مكانيا ونفسيا ، فلجأ إلى التصوير النفسي، في مقابلة بين ماض وحاضر، في صور متنوعة ، تبرز الإحساس بالاغتراب ، وتؤكد الثبات على الموقف، بدليل الإكثار من ضمير الأنا [57] ، حتى في المدح أو الرثاء أو الهجاء ، " فالفرد المنتمي لهذا التنظيم ، حين يشعر بانقطاع العلاقة بينه وبين تنظيمه السياسي لا بد من معرفة البدائل اللغوية التي ستحل محل العلاقة المفقودة ، هل سيشعر بالخيبة والألم ؟ أم سينمو لديه شعور برفض مبادىء وأفكار هذا التنظيم ، أم سينشأ لديه شعور بالندم وتقريع النفس ... ففي كثير من الحالات يعني الاغتراب انعدام أيه صلة أو الوصول إلى مرحلة عدم الإكتراث وعدم المبالاة بما يجري حوله،ولكن في حالات أخرى قد يتطور الاغتراب إلى كراهية ورفض قوي ومعارضة شديدة قد تكون مسلحة،وبدراسة الاغتراب السياسي في العصر الأموي نجد أن المغترب السياسي يحاول جاهداً أن يحقق توازنه النفسي عن طريق تحويل نمط السلطة بكل قواه ،ولم يلجأ إلى مهادنة بالتنكر لمبادئه وتغيير نفسه ومعتقداته إلا في أضيق الحدود،وتحت أشد الظروف وطأة ولكنه سعى جاهداً إلى تغيير مجتمعه سواء بالقول أو بالثورة المسلحة ، فالنموذج السائد أو النمط السائد المغترب السياسي أنه الفرد الذي رفض واقع مجتمعه ، ولم يكن من الفئات التي رفضها المجتمع ، بل كان المغترب السياسي الأموي يحظى بكثير من التعاطف الاجتماعي "[58].

ونرى هذا الهم ، وعدم التوازن وحالة التقلب الفكري والصراع النفسي في القصيدة التي رثى بها المفضل بن المهلب[59]، يقول فيها:

ما زلتُ بعدكَ في هَمٍّ يجيشُ بهِ
صدرِي وفِي نَصَبٍ قد كان يُبلينِي[60]

وهذه القصيدة ، وهي السابعة والثلاثون في ديوانه ، نراها مقسومة إلى قسمين ، تحدث الشاعر في الأبيات الثمانية الأولى عن رثائه للمفضل ، بينما جاء القسم الثاني ؛ ليتحدث عن معاني عامة ، تتعلق بالحكم والحديث عن النفس والفخر به ، وأرى أن هذه القصيدة مبتورة ، وهناك أبيات ضائعة ؛ لأن النصف الثاني منها لا يدعم الأول ، بل هو منفصل عنه.

وثابت قطنة بما أتيح له من مزية عند المهلب جعل من نفسه الناصح الأمين لممدوحه، فقد راح يحرضه على الحرب، ويكيل له النصائح في تحريضه عليها، يقول:

أيزيدَ كُن في الحربِ إذ هجيتهَا
كأبيكَ لا رِعشا وَلا رِعديدَا
شَاورتَ أكرم من تناول مَاجدا
فَرأيت همك في الهمومِ بعيدَا

مَا كَان في أبويكَ قَادحُ هُجنةٍ
فيكونُ زندك في الرتاد صلودًا[61]

وإذا أخذنا المعنى اللغوي للرِّعش والرعديد نجد للكلمتين معنى واحد ، وهو الجبان ، وإلحاح الشاعر هنا على الممدوح بألا يكون جبانا، وإنما عليه أن يحتذي بأبيه في الشجاعة، وكأنه يضعه في موقف الخائف المتردد ،على عكس القائد المقدام ،هذا من جانب، ومن جانب آخر، نراه موفقا في ملازمة سياسة قائده ،فهو في تحريضه على الحرب ، إنما يدعو للتقدم معه، فهو مناصر لسياسته، ومدافع عنها، قال يصف حربا مع الترك:

نقارعُ التركَ ما تنفك نائـحةً
منا ومنهم عَلى ذِي نَجدة شارِي
إن كانَ ظنّي بِنصرٍ صَادقا أبداً
فِيـما أُدبّرُ نقضـي وامرارِي
لا يصرفُ الجند حتى يستضيء بهم
نهباً عظيماً ويحوي ملك جـَبارِ
وتعثر الخيل في الاقياد آونة
تحوي النهاب إلى طـلاب أوتارِ
حتى يروي دوين السرحِ بارقه
فيها لواء كظل الأجدلِ الضـارِي[62]

نلاحظ أن الشاعر كان مخلصا لآل المهلب في سياستهم ، فوقف معهم في حربهم ضد أعدائهم ، ودافع عنهم في شعره ما استطاع ، وقد غلبت عليه سياسته في شعره ، فغابت مثلا صورة الممدوح التقي الورع ، صاحب الرأي الرشيد ، أو صورة المؤيد بنصر الله ، إلى غير ذلك من الألفاظ، وأرى أن سبب بروز الأثر السياسي بشكل لافت للنظر ، **يرجع إلى عدة أسباب :**

أولا– إما لأن شعر ثابت قطنة الذي وصلنا ، عبارة عن مقطوعات قصيرة ؛ لضياع أجزاء مختلفة منها ، كان شاعرنا فيها قصير النفس، وبالتالي لن تعطي الباحث صورة واضحة وكاملة عن محتوى القصيدة ؛ بسبب الظروف التي كانت تمر بها دولة بني أمية ، "لم يكن شعر الحروب قصائد طويلة ؛ بسبب طبيعة حياتهم السياسية والعسكرية، وفي ظروف عاجلة طارئة ، فشعرهم في مجموعه "إعلانات سياسية" ، عن المواقف قبائلهم من الأحداث الداخلية المفاجئة و"بلاغات عسكرية" ، عن نتائج الوقائع الحربية التي خاضوها ، وطبيعي أن الشاعر المرتبط بقبيلته، الفاني في كيانها ،الناطق الرسمي بلسانها ، لا يستطيع أن يتريث طويلاً في الأحداث الكبيرة السريعة ؛ لكي يصدر بياناً عن رأي قبيلته فيها ، ويتوفر صياغته ومراجعته وتدقيقه ، حتى يخرج خلقاً فنياً كاملاً مفصلاً ؛ لأنه إن فعل ذلك فإن الأحداث تكون قد سبقته ، وحينئذ لا يكون لبيانه أهمية أو قيمة ، فهو يجري مع الأحداث ويسابقها ، فالشاعر المقاتل الذي يشهد المعركة و يخرج منها ، لا يصبر كثيراً حتى يعبر عن دوره ، ودور قبيلته فيها ، وإنما يتعجل القول ؛ لينشر بلاغه العسكري في الظرف الملائم ، كذلك كان أكثر الشعراء ، وهكذا كانت أكثر أشعارهم [63] .

ثانيا– أو لأن شاعرنا كان مجاهدا وفارسا في جند المهلب ، ويحمل فكرة الإرجاء وهذه الفكرة ، لم يكن لها شعراء كثيرون يدافعون عنها، وبالتالي كان الشعر عندهم يأتي في مرتبة دنيا ، فلم يعطوه الاهتمام الكافي ، فجاءت أفكاره السياسية ممزوجة بالمدح والرثاء والهجاء من خلال هذه المقطوعات.

ثالثا– أو لأنه كان متقلبا نفسيا ، مختلف المزاج ، فكان يمدح ويهجو، مع الأمويين مرة ومع غيرهم أخرى ؛ بسبب عدم اهتمامه اهتماما واضحا بفكرة الإرجاء ، ثم إنه اقتنع بها خلال إقامته بخراسان ، وهذا الاقتناع لم نره في شعره ، كاقتناع ابن قيس الرقيات مع الحزب الزبيري والكميت مع الشيعة، والأخطل مع الأمويين .

رابعا– أو لأن اسمه ارتبط بآل المهلب الذين ثاروا على دولة بني أمية ، وكان مصير شعره كشعر بقية

المعارضين .

ساعدت هذه الأسباب مجتمعه في عدم تواتر شعر هذا الشاعر ، وما يؤيد هذا الرأي أن ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ، وبعد أن يورد له مقطوعة في رثاء ابن المهلب ، يقول : وله فيه مرثيات كثيرة[64] ، ولا يوجد في ديوانه سوى ثلاث مقطوعات ، وهي المقطوعات التي تحمل الأرقام :7، 18، 30 .

ثانياً: الأثر العقدي:

إن وصول الأمويين إلى الحكم بالطريقة التي جاؤوا بها ، يعد انقلابا سياسيا واجتماعيا خطيرا ، حصل في بداية دولة إسلامية ناشئة ، وهو انقلاب أحسن التخطيط له، وتنوعت وسائل تحقيقه ، وكان له آثار عدة على نواحي الحياة كافة ، ومنها الأدب " فالشعر لم يلتزم بالسياسة التزاما حقا ، إلا بعد مقتل الخليفة عثمان ، وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة ، انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة ، وتختلف في فهمها لنظام الحكم [65]، فأصبح الحديث في أمر الخلافة بعد مقتل عثمان يشغل الناس أكثر من أي شيء آخر،وبسببها ظهرت الأحزاب [66] ، ومنها حزب المرجئة ، [67]الذي نشأ بعد منتصف القرن الأول للهجرة ، ومما يميز هذا الحزب أنه يغاير في وجهة نظره الأحزاب الأخرى ، معتمدا على رأي محايد في الحكم ،وعلى اقتتال المسلمين فيما بينهم ، بعد مقتل الخليفة عثمان ، وبخاصة وجودهم في الحروب ، وغيابهم عن الحدث ، وعدم قربهم من الخلافات ، أو مشاهدتهم إياها ، وبعد رجوعهم من البلاد التي كانوا فيها ، رأوا أمورا لم يعهدوها من قبل ، ففضلوا الحياد والابتعاد عن الدخول في مثل هذه المنازعات ، ويؤيد هذا الكلام ما رواه ابن عساكر في قوله " إنهم قدموا المدينة وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ، ليس بينهم اختلاف، فقالوا : تركناكم وأمركم واحد، ليس بينكم اختلاف ، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون ، فبعضكم يقول : قتل عثمان مظلوما ، وكان أولى بالعدل وأصحابه ، وبعضكم يقول كان علي أولى بالحق وأصحابه ، كلكم ثقة عندنا مصدق ، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما ، ولا نشهد عليهما ، ونرجي أمرهما إلى الله ، حتى يكون هو الذي يحكم بينهما" [68] ، وكان ثابت قطنة يميل إلى فكرة الإرجاء ، ويؤكد في شعره أن عملية الإرجاء من الأمور الصواب سواء أكان المختلف عليهم من البررة أو الأشقياء ، وأن قضية الإرجاء لا تتعرض لأبي بكر وعمر ، فالقضية أساساً تتعلق بعثمان وعلي ومعاوية .

فالواضح من رأيهم أنهم حزب سياسي محايد ، لا يصوب أو يخطىء فريقا من الفريقين ، لذا كان المرجئة يسالمون الخوارج والشيعة وبني أمية ؛ لأنهم ليسوا مع الخوارج في تكفير علي وعثمان ومعاوية وغيرهم من أهل صفين ، وليسوا مع الشيعة في تكفير أبي بكر وعمر وعثمان وبني أمية؛ لأنهم انتزعوا الخلافة من علي، وليسوا مع بني أمية في قتالهم للخوارج والشيعة وتكفيرهم [69] .

وقد نشأ الشاعر في فترة تحددت فيها الآراء لعصر بني أمية ، وأن النظام القائم كان يتدخل بما يبقي على نفوذه ، حتى إنه استغل فكرة الإرجاء والجبرية [70]، ففي هذا الجو المضطرب سياسيا، والمحدد مذهبيا أو فكريا ، ظهر ثابت قطنة الذي مال إلى فكرة الإرجاء[71] ، وراح يدافع عنها ويشيد بها، ولكن دون عاطفة وقناعة قويتين ، على نحو ما يلقانا عند جرير في قوله مادحاً عبد الملك بن مروان من خلال تلك التوجهات الجبرية:

أقصِر بقدرك إنَّ الله فضَّلنا

وما لما قَضَى ذو العرشِ تبديلُ[72]

في حين نرى هذه الفكرة عند ثابت في أماكن محدودة ، نحو قوله :

وَمَا قَضى الله من أمرٍ فليسَ له
رد وما يقض مِن شيءٍ يكن رشَدا[73]

فالعلاقة – هنا – بين الشاعر وما يحيط به ، هي عملية تفاعلية ، فالجمال في الأدب والفن هو قيمة عليا قوامها التلاؤم بشتى أنواعه،فهو يشمل التلاؤم بين الظواهر المادية من مقاييس وتناسق ألوان...الخ، كما يشمل التلاؤم في الأفكار والمواقف، وهو التلاؤم الحسي من خلال الحواس والتلاؤم الروحي من خلال الفكر [74] .

وهذا ما أدى إلى بروز جانب آخر مما شهدته الحياة الأموية ، ويمثله الالتزام " الفكري والديني" وإن بدا مختلفا في طبيعته النوعية ،عما تعرفنا عليه من التزام "عقائدي" في عصر السلف في قترة صدر الإسلام ، في وقت شهدنا فيها الشاعر يلتزم بقضايا الدين، فيدافع عنها باعتبارها أغلى ممتلكاتها ،ويحاول نشرها، ويرد عنها العدوان ، ويصّور حركة جيوش المسلمين الفاتحة ، فإذا بالالتزام هنا يأخذ منحى آخر مختلفاً ، قوامه تلك الإرهاصات المبكرة للفكر الفلسفي، وقد راحت من خلالها الأحزاب الدينية تطرح جدلا لا يكاد ينتهي حول قضايا الدين، وبدلاً من الوقفة المتأنية عند التفقه في أمور العبادات والتكاليف ، أو البساطة والوضوح في عرض ما يتعلق بها ، سارت الأمور لدى حزب – أو أحزاب – من مثقفي المجتمع الأموي في اتجاه كلامي ، يقوم على الجدل، وكأنه يسير في خط متواز مع تيار الفرق السياسية ، فظهرت الأحزاب الدينية لأول مرة ، وتعددت آراؤها، وكثر حوارها حول علاقة الإنسان بربه من منطق الجبر أو الاختيار، وراحت تفلسف أبعاد القضية طبقا لوجهات نظر متعارضة ، لجأت إلى تأويل النصوص القرآنية، وتعددت صور الجدال حول المبادىء والأفكار الدينية المطروحة، ووجد الشعراء أنفسهم في بعض تلك المبادىء مجالا للاقتناع أوالاقناع ، فظهر منهم من قام بالدعاية لفلسفة الجبر مؤيدا لأصحابها ، ومتخذاً منها وسيلة لتأكيد ما يذهب إليه من المنظور السياسي والدعاية للخلافة، وإطلاق الحكم للخليفة الحاكم – حسب ادعاءتهم- بتفويض الهي[75].

وكان الدفاع عن الفكرة والمذهب شغلا شاغلا لشعراء الأحزاب ، فأراد كل شاعر حزبي أن يثبت ويبرهن على صحة فكرته، ويثبت أنها الأصوب، معاندا دعوات الأحزاب الأخرى، وطاعنا فيها أحيانا ،ولكن ما يميز شعر ثابت، أنه في حديثه عن فكرة الإرجاء، لم يطعن في الأحزاب الأخرى، بل حاول – وبلين- توضيح فكرة الإرجاء ، دون إقناع أو برهنه ، يقول:

يا هند إني أظن العيش قد نفدا
ولا أرى الأمر إلا مدبرا نكدا
إني رهينة يوم لست سابقه
ألا يكن يومنا هذا " فقد" افدا
بايعت ربي بيعا أن وفيت به
جاورت قتلى كراما جاوروا أحدا
يا هند فاستمعي لي إنّن سيرتنا
أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
المسلمون على الإسلام كلهم
والمشركون أشتوا دينهم قددا
نرجي الأمور إذا كانت مشبهة
ونصدق القول فيمن جار أو عندا
ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا
م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا
سفك الدماء طريقا واحدا جد دا
من يتق الله في الدنيا فان لـه
جر التقي إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له
رد وما يقض من شيء يكن رشدا

كل الخوارج مخط في مقالته
ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما علي وعـثمان فإنّـهما
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شغب وقد شهدا
شق العصا، وبعين الله ما شهدا
يجزى علي وعثمان بسعيهما
ولست أدري بحق آية وردا
الله يـعلم ماذا يحـضران به
وكل عبد سيلقى الله منفردا[76]

وهذه القصيدة الوحيدة الكاملة التي تحدث فيها عن الإرجاء ،واعتمد فيها على الأسلوب التقريري المباشر، ويؤكد فيها أن فكرة الإرجاء، هي الفكرة الأصوب سواء أكان المختلف عليهم من العصاة أم من الهداة ، وبذلك فهو لا يتعرض لأبي بكر وعمر ؛ لأن القضية من وجهة نظره تتعلق بعثمان وعلي ومعاوية ، ويدلل على ذلك بطريقة منطقية ،ويعرض فكرته عرضا واقعيا مبسطا ، فالفكر في الشعر " يكفي أن يكون فكراً شعرياً عندما يجرّد من علاقاته البيانية والتعبيرية"[77] ؛ ولأن علاقة الفكر بالشعر فيتصل بوجود موقف فكري للشاعر أو مذهب سياسي يعتنقه، فقد طالبت بعض المناهج النقدية بالالتزام بمذهب أيديولوجي ما،وبأن يصدر الشاعر إبداعاته من خلال مفاهيم هذا المذهب واتجاهاته [78].

وما يميز ثابت عن بقية شعراء الأحزاب الأخرى أنه رغم التزامه الفكري الهادىء بفكرة المرجئة ، لم يكِل لهم الشتائم أثناء عرضه لفكرته ودفاعه عنها ، وكذلك لم يقدم الحجج والبراهين ، كما فعل الكميت مثلا ، ولعل الحزب الوحيد الذي خطأه ، هو حزب الخوارج في قوله:

كُلُّ الخَوارجِ مُخطٍ فِي مَقَالَتِه
وَلَو تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ أو اجتهدا[79]

فقد خرج الخوارج على الدين ، وكفروا ، وجاروا عن القصد ، واتبعوا دينا يخالف ما جاءت به النذر ، وجحدوا بآيات الله ، وهي وجهة نظر الشاعر والدولة أيضا ، فقد ناهضتهم ؛ لمخالفتهم سياسياً ودينياً ، وجاء أسلوبه في القصيدة سرديا عقليا ؛ لأن ما يهمه هو إيصال الفكرة بشكل مباشر، كما هو واضح في قوله :

نُرجِي الأمورَ إذا كَانت مشبهةً
وَنصدق القولَ فيمن جَارَ أو عَندَا
المسلمونَ عَلَى الإسلامِ كلهم
والمَشركونَ أشتوا دينهم قِـددَا

——————————————

أمَّا عَلي وَعُثمان فَإنهُمَا
عَبـدان لَم يُشرِكَا بِاللهِ مُذ عَبدَا[80]

والحق أنه يمكن أن يفهم استلهام بعض الشعراء والأدباء بعض الأفكار الفلسفية الأساسية ، أو بعض نتائج العلم الكلية في قصائدهم وإبداعاتهم ؛ لأن هذا الاستلهام مشروط بتحول هذا العلم وتلك الفلسفة من أفق الفكر المجرد إلى عالم الخيال والشعور والعاطفة ، "فإذا أمكن أن ينظم الشعراء ذات يوم في المعاني الكلية التي يأتي بها العالم، فلن يكون ذلك إلا إذا توسلوا بالانفعالات التي تهيجها هذه المعاني"[81].

ونرى من طرف خفي عدم اهتمامه الواضح بهذه الفكرة ، بدليل عدم الدفاع عنها بحرارة وانفعال ، فالمتمعن في هذه الأبيات يلاحظ وكأن الشاعر يتحدث عن نفسه فقط ، ولا يعنيه رأي الآخرين في الإرجاء، إنما تقرير فكرة آمن بها الشاعر، وقد صرح بفكرة الإرجاء في قصيدة أخرى خلال مدحه لنصر بن سيار[82]،يقول:

ناضلتُ عني نضال الحر إذ قصرتْ
دوني العشيرة واستبطأتُ أنصارِي
وصارَ كل صديقٍ كنتُ أملهُ
اِلبا عليّ ورث الحبلُ من جارِي

وَمَا تلبستُ بالأمر الذي وقعوا
بـه علي ولا دنَّستُ اطمـارِي
ولا عصيتُ إماماً كانَ طَاعَتهُ
حقاً علي ولا قارفتُ مِن عـار[83]

والملاحظ على شعر ثابت قطنة أنه لم يرد في ديوانه ما يدلل بشكل مباشر أو غير مباشر على الاهتمام بفكرة الإرجاء والدفاع عنها سوى هذين المكانين (قصيدة رقم 11 و 17) وما عدا ذلك ، فهو ميال فيه للعصبية السياسية ، وهذا ما يجعلنا نقرر بأنه كان مخلصا ليزيد بن المهلب وسياسته وليس لفكرة الإرجاء.

فتعددت الفرق السياسية ، وبقدر تعددها برزت صور متنوعة من الالتزام تبلور بعضها في نمط جديد يعيد إلى الأذهان إحياء نمط من الالتزام " القبلي " الموروث من الجاهلية، أو يطرح بعضا من جوانب الالتزام "العقائدي" في عصر صدر الإسلام ؛ ليضيف إليها ضروبا أخرى جديدة من واقع الالتزام السياسي بالدرجة الأولى[84].

إن الوجود الذي تشتمل عليه القصيدة مستمدة من قوة الموضوع في وحدة المشاعر التي تحتويها المقطوعات في ترابطها الذي يوضح خصائص تطور الموضوع في علاقته مع مشاعر الذات المبدعة وعرضها في ايجاد وحدة شاملة، تجمع بين هاتين الخاصتين ،وفقاً لما يثيره الموضوع من انفعالات، بحيث تكون مشاعر الذات المبدعة، معبرة على الدوام عن النوع الأقرب إلى ما يحرك عواطفها ،وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا تتقدم به القصيدة شيئاً فشيئاً ، حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور ، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر [85].

ولم يهدف الشاعر من شعره إلى تعقيد أسلوبي ، أو تكلف بلاغي فهو يسعى إلى التعبير عن إحساسه الصادق في كل مناسبة من المناسبات ، ولم يكن بحاجة في مثل تلك المواقف إلى التراكيب المهمة التي تفقد شاعريته أصالتها ، ولهذا كان شعره واضحاً ، وكانت معانيه قريبة، ولم تعتمد لغته على الصورة المخلوقة ، أو المعتاد خلقها ، ولا حتى على ما يسمى بالصور الجاهزة في اللغة ، فهو لم يتعامل مع الحواس التي تحرك اللغة ، وإنما تعامل مع أسلوب السرد العقلي ؛لأن الذي كان يهمه هو عملية التوصيل المباشر لما يراه ، فهو يعتمد هنا على الذكاء والصنعة المسبقة ، واللغة التي لا تحمل دلالة شخصية للشاعر ، وفي الوقت نفسه ، نرى أن ما يقوله لا يدعونا الى مشاركته ؛ لأنه في حقيقة الأمر معني بنفسه وبقومه ؛ لأنه مغترب نفسيا ومكانيا وزمانيا ، وشعوره هذا ولد عنده كثيرا من القضايا الداخلية ، التي أدت إلى عدم التوازن في شخصيته ، في ظل الشعور العام عند كثير من الأفراد بأن الدولة ظلمتهم " وإحساس الأفراد بأن الدولة تتخلى عنهم في أشد الظروف صعوبة ، وهم الذين يعملون من أجل رفعتها يولد في نفوسهم إحساس شديد بالإغتراب ، يزيد من شعورهم بالعزلة والانفصال عن أهدافها ، وفقدان المعنى، حيث يعجز الفرد عن الوصول إلى قرار وإدراك لما يجب أن يعتقده ويفعله ، فليست له القدرة على التأثير على المواقف " [86] .

وأرى أن الرأي الذي ذهب إليه الدكتور عمر فروخ بحاجة إلى نقاش ، فقد أورد عن ثابت أنه كان " خطيبا قديرا وشاعرا مجيدا ، موجزا ، يبلغ المعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة ، ويبدو أنه كان كاتبا مترسلا، أما في الشعر فكان ثابت قطنة مداحا هجاء ، وله رثاء حسن وشيء من الشعر الفلسفي " [87] ، أنا اتفق مع الأستاذ الكبير في الشق الثاني مما ذهب إليه ، من أن ثابت كان شاعرا مجيدا ، بينما أرى أن الشق الأول مما ذهب إليه بحاجة إلى نقاش ، روى صاحب الأغاني قوله : " كان يزيد بن المهلب قد استعمله على

بعض كور خراسان ، فلما علا المنبر ، حصر ، فلم يزل حتى نزل ، فلما دخل عليه الناس ، قال :

فإن لا أكن فيكُم خَطيبا فإنني
بِسيفي إذا جَدَّ الوَغَى لَخَطيبُ[88] .

فأرى أن هذا البيت يشير صراحة إلى أن ثابت قطنة لم يتصف بالصفة الخطابية التي نعته بها الدكتور عمر فروخ ، وإنما خطابته كانت في شجاعته التي جعلت بعضا من آل المهلب يوليه الرياسة والقيادة ، ثم إنه لم يرد عنه في مظان الكتب أنه اتصف بالخطابة وبرع فيها ، ولم يشر أحد ممن ترجم له أنه كان خطيبا مفوها[89] ، ويمكن الرد هنا أيضا على ما قاله كارلو نالينو ، في أن ثابتا فصل في الإرجاء واهتم فيه ، يقول نالينو " أما الذي حملني على ذكر ثابت قطنة هنا فهو شعر له مشهور فصل فيه آراء المرجئة في زمانه " [90] ، وإذا كان الأمر كذلك – له شعر كثير فصل فيه آراء المرجئة – فلماذا لم يورد له سوى مقطوعة واحدة [91]، تلك التي تناولها كل من ترجم له ، لذا أرى أن الشاعر نفسه لم يكن مقتنعا بالفكرة حتى يدافع عنها ويفصل فيها،كما فعل غيره من الشعراء لأحزابهم.

الهوامش :

1. الأزد، من أعظم قبائل العرب وأشهرها ، تنسب إلى الأزد بن الغوث بن مالك بن كلاب من القحطانية ، وتقسم إلى أقسام (كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : 1 / 15).

2. إن المراجع التي تناولت أخبار ثابت قطنة قليلة ، ومعظمها نقلت عن الأغاني ، قال فيه صاحب
الأغاني :
هو ثابت بن كعب ، وقيل بن عبدالرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العلاء أخو بني سعد بن الحارث ، وقيل بل هو مولى لهم ، ولقب قطنة ؛ لأن سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مكانُه لكفايته (الأصفهاني ، الأغاني ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1997 : 428 / 14 . ، ينظر في ترجمته :–

– ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله مسلم الكوفي ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، 1967 : 2 / 631-630 .

– الأصفهاني ، الأغاني ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 2 ، 1997 : 428 / 14 – 432 .

– أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، نقائض جرير والفرزدق ، ط ليدن ، 1905 : 364 / 1 .

– البغدادي ، عبدالقادر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ، 1989 : 582-578 / 9 .

– ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ط 7 ، القاهرة ، 1976 : –239 241 .

– فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 6 ، 1992: / 642-640 .

– الزركلي ، خير الدين ، معجم الأعلام ، ط دار العلم للملايين ، ط 13 ، 1998 : 98 / 2 .

3. الأصفهاني ، الأغاني : 266 / 14، 268 .

4. القاضي ، النعمان ،الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ط دار المعارف ، مصر ، 1970 : ص 724 .

5. الأصفهاني ، الأغاني : 269 / 14 ، وينظر شعر ثابت قطنه العتكي ، تحقيق ماجد السامرائي، دائرة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1968: ص 54 ،

6. أبو حاقة ، أحمد ، الالتزام في الشعر العربي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1979 : ص 72 .

7. خراسان، بلد واسعة أول حدودها مما يلي العراق ، وآخر حدودها مما يلي الهند ، وتشتمل على أمهات من البلاد ، منها : نيسابور وهراة ومرو ، (معجم البلدان ، ياقوت ، تحقيق عبدالعزيز الجندي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1991 : 410 / 2) .

8. عطوان ، حسين ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، 1974 ص: 54 .

9. أبو حاقة ، أحمد ، الالتزام في الشعر العربي : ص73 ، وينظر القصائد التي كان إخلاص الأخطل فيها واضحا لبني أمية القصائد التي تحمل الأرقام : 2، 4 ، 7 ، 19 ، 24 .

10. عباس ، إحسان ، شعر الخوارج ، ص 142 ، وينظر 137 ، 142 ، 157 .

11. عبيدالله بن قيس الرقيات ، ديوانه ، تحقيق محمد يوسف نجم ، ص96 ، وينظر ص 88 ، .119 ، 122 ، 153-152 .

12. هاشميات الكميت تحقيق داود سلوم ونوري حمودي القيسي ، ط عالم الكتب ، بيروت ، ط 1 ، 1984 ، ص 202 ، وينظر ص 12 ، 54 ، 46 ، 50 ، 62 ، 174 ، 178 .

13. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ط دار الثقافة ، بيروت ،1964 : ص 526 ، وينظر، الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط دار الجيل، بيروت ، ط 1 ، 1991 : 83 / 2 ، البغدادي ، خزانة الأدب ، 9 / –578 580 .

14. الأصفهاني ،الأغاني : 14 / 263 ، ومما يروى في شجاعته ما

أورده ابن الأثير في قوله "مر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي فقال : هل لك في الجهاد ؟ فقال : امهلني حتى اغتسل و أتحنط ، فوقف له حتى اغتسل ثم مضى ، وقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ؛ وحرضهم ، فحملوا واشتد القتال ، فقال ثابت قطنة : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلني ضيفك الليلة ، والله لا ينظر إلي بنو أمية مشدوداً في الحديد ، فحمل وحمل أصحابه ، فرجع أصحابه وثبت هو ، فرمى برذونه فشب وضربه فأقدم وضرب ثابت فارتث فقال وهو صريع : اللهم إني أصبحت ضيفا لابن بسطام وأمسيت ضيفك ! فاجعل قراي منك الجنة، فقتلوه وقتلوا معه عدة من المسلمين (ابن الأثير : 5/150 – 151) .

15. يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، من القادة الشجعان ، برز للحرب وهو ابن ثمانية عشر عاما ، ولي خراسان بعد وفاة أبيه ، ثم عزل وحبس في زمن عبدالملك ، عاصر سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبدالعزيز ، نابذ بني أمية الخلافة ، وقتل بسببها ، يقول فيه الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

(معجم الأعلام ، الزركلي : 8/ 189-190) .

16. شعر ثابت قطنه العتكي ، تحقيق ماجد السامرائي، دائرة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1968: ص 37.

17. نفسه: ص 50.

18. ينظر الهادي ، صلاح الدين ، اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، القاهرة، ط1، 1986: ص135

19. قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي ، فارس شجاع ، دمث الأخلاق ، داهية ، راوية للشعر عالم به ، قتله وكيع بن حسان التميمي ، قال فيه أحد الأعاجم بعد مقتله :يا معشر العرب ، والله لو كان فينا لجعلناه في تابوت ، واستفتحنا به غزونا "(معجم الأعلام ، الزركلي : 5/ 189-190) .

20. شعر ثابت قطنه: ص 35.

21. عبدالقيس، قبيلة عظيمة تنسب إلى عبدالقيس بن أقصى بن دعَميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (كحالة ، عمر : 2/ 726).

22. كعب الأشقري، أبو مالك كعب بن معدان الأشقري ، من الأسد، فارس شجاع من أصحاب المهلب بن أبي صفرة (فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي : 1/ 608) .

23. زياد الأعجم ، كان مولى لبني عبدالقيس ، اختلف في نسبه ، لقب بالأعجم للكنة في لسانه ، كان خطيبا قديرا وشاعرا مجيدا على الرغم من لكنته (فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي : 1/ 591) .

24. الأصفهاني ، الأغاني : 14/ 187.

25. باهلة ، قبيلة عظيمة من قيس من العدنانية (كحالة ، عمر: 1/ 60) .

26. ربيعة، بطن من تميم من العدنانية ،وهم بنو ربيعة بن مالك بن زيد بن مناة من تميم (القلقشندي ، نهاية الأرب : ص 259) .

27. قيس، قبيلة من مضر من العدنانية ، القلقشندي ، نهاية الأرب : ص 403 .

28. مضر ، قبيلة عظيمة من العدنانية ، كانوا أهل الغلب والكثرة بالحجاز ، من سائر بني عدنان ، كانت لهم رياسة مكة ، ويجمعهم فخذان عظيمان : خندف وقيس (كحالة ، عمر:3/ 1107).

29. بنو تميم، قبيلة عظيمة من العدنانية ، تنسب إلى تميم بن مر(كحالة ، عمر:1/ 126) .

30. آل الأهتم، بطن من تميم من العدنانية ، كان فيها رجال معروفون وخطباء (كحالة ، عمر : 1/ 48) .

31. وكيع بن حسان بن قيس بن يوسف بن كلب بن عوف بن مالك بن غذانة (ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيوت ، د. ت : 4/ 87– 88 .

32. ينظر ، الجاحظ ، الحيوان : 6/ 452 .

33. بنو عامر ، شعب من كنانة بن ثعلبة بن الحارث بن مالك (القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، : ص 331) .

34. النص ، إحسان ، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، ط دار اليقظة العربية ، بيروت : ص 321-322 .

35. شعر ثابت قطنه: ص 31.

36. شعر ثابت قطنه: ص 36.

37. شعر ثابت قطنه: ص 38 .

38. ديوان جرير ،ط الصاوي: ص 355– 356 ، وينظر : ص 3 ، 9 ، 24 ، 25 ، 97 ، 217– 218 .

39. ديوان الفرزدق ، ط الصاوي : ص 829 ،وينظر: ص433 ، 487 ، 538 .

40. أبو حاقة ، أحمد ، فن المديح ،ط دار الشرق الجديد ، بيروت ، ط1 ، 1962 : ص 149 .

41. الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الهجري الثاني ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ط 4 ، 1964 : ص 289 ،

42. الأغاني ، الأصفهاني ، 14/ 430(ط دار التراث ، بيروت ، ط 2 ، 1997 ، والأبيات غير موجودة في الديوان) .

43. البلاذري ، أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ط الشركة المصرية الوطنية ، مصر ، 1318 هـ : ص 426 وما حولها .

44. شعر ثابت قطنه: ص 58.

45. ينظر القصيدة رقم 30 والقصيدة رقم 31.

46. الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أجمع معظم المؤرخين على شدته وقسوته ، تولى الإمارة وهو ابن عشرين عاما ، له فضائل عدة ، منها : أنه أول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام ، وأول من ضرب درهما عليه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " (معجم الأعلام ، الزركلي : (2/ 168) .

47. شعر ثابت قطنه: ص 35.

48. نفسه : ص 34.

49. ضيف، شوقي ، العصر الإسلامي ، ط دار المعارف، مصر، ط9، 1981: ص 240 .

50. نفسه : ص 162 .

51. أمين ،أحمد ، ضحى الإسلام :19-20 / 1

52. التطاوي ، عبدالله ، مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، ط دار غريب ، لبقلهرة ، ط 2 ، 1996 .: ص 28

53. عطوان ، حسين ، الشعر الأموي بخراسان : ص 258-259 .

54. أسد بن عبدالله ، من الأجواد الشجعان ، ولد في دمشق ونشأ فيها ، ولاّه أخوه خالد خراسان عام 108 هـ ، وكان الفرس راضين عنه وعن حكمه ، وفي أيامه جاشت الترك بلاد خراسان ، وكانت له معهم مواقع انتهت بهزيمتهم ، توفي في بلخ (معجم الأعلام ، الزركلي : 298 / 1).

55. شعر ثابت قطنه: ص –31 32 .

56. السابق: ص 33 .

57. ينظر على سبيل المثال الصفحات : 35، 48، 53، 55 ، 60، 61 ، 65 ، 67 .

58. السويدي ، فاطمة ، الاغتراب في الشعر الأموي ، ط مكتبة مدبولي ، 1997 : ص 44-45 .

59. المفضل بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، من أبطال العرب ووجوههم ، ولاّه الحجاج خراسان ، وولاّه سليمان بن عبدالملك جند فلسطين ، ثم ثار مع أخيه يزيد على بني مروان في العراق ، فسير له مسلمة بن عبدالملك هلال بن أحوز التميمي فقتله على أبواب قندابيل ، وهي مدينة بالسند ، وقال حاجب بن ذبيان المازني في تلك الوقعة :

لقد قرَّت بقندابيل عيني وساغ لي الشراب على الغليل
غداة بنو المهلب من أسير يقاد به ومستلب قتيل

(الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان : 402 / 4 ، وينظر الأعلام ، الزركلي ، 280 / 7).

60. شعر ثابت قطنة : ص 65 .

61. نفسه : ص 42 .

62. نفسه : ص 47-48 .

63. عطوان ، حسين : ص 339 .

64. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1965: ص 5 / 88-89 .

65. القط ، عبد القادر، في الشعر الإسلامي والأموي، مكتبة الشباب، 1980: ص 276 .

66. فضلنا أن نستعيض بالفرق بدل الأحزاب؛ لأنها أدل بالذهنية الحديثة من كلمة الفرق، وبخاصة أن كلمة فرقه لا زالت غامضة وغير واضحة مذهبيا وفكريا.

67. المرجئة مأخوذة من أرجأ بمعنى أمهل وأخر ، وسموا بذلك ؛ لأنهم يرجئون – أي يؤخرون – أمر

المختلفين إلى يوم القيامة ، أو لأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .(ينظر الشهرستاني ، الملل والنحل : 222 / 1) البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق. ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978: ص190).

68. ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، ط روضة الشام ، 1923 هـ ، وقد تعذر علي الاطلاع على هذه النسخة ، لذا نقلت النص كما هو من كتاب د. أحمد الحوفي " أدب السياسة في العصر الأموي " ص 123 .

69. الحوفي، أحمد ، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، 1965: ص 124 .

70. الجبرية : مأخوذة من الجبر وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب ، وهي عدة أصناف (الطاهري ، علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط امطبعة الأدبية ، مصر ، 1317 هـ : 108 / 1)

71. روى صاحب الأغاني أن ثابت قطنة سمع جماعة من خراسان يتحدثون عن الإرجاء فمال إليه وأنشد فيه ، الأغاني 269-270 / 14 ، وينظر خزانة الأدب : 9 / 581-582.

72. جرير ، ديوانه ، ص 417 .

73. شعر ثابت قطنة : ص 40 .

74. مركز دراسات الوحدة العربية ، دور الأدب في الوعي القومي ، بيروت ، 1986 :ص30 .

75. التطاوي ، عبدالله ،: ص 35-36 .

76. شعر ثابت قطنة : ص 39-40 .

77. الشمعة ، خلدون ، النقد والحرية ، دمشق ، 1977 : ص 49 .

78. الفريحات ، عادل ، إضاءات في النقد الأدبي ، ط دار أسامة ، دمشق ، ط 1 ، 1985 : ص 141 .

79. شعر ثابت قطنه: ص 40 .

80. السابق: ص 39-40 .

81. جويو ، جون ماري ، مسائل فلسفة الفن المعاصر ، ترجمة سامي الدروبي ، دمشق ، د. ت: ص 15 .

82. نصر بن سيار بن رافع بن ربيعة الكناني ، من الخطباء والشعراء ، يعد من أصحاب الولايات والحروب والتدبير والعقل وسداد الرأي ، من أوائل الذين تنبهوا لخطر الدولة العباسية ، وله قصيدة طويلة في ذلك ، ومطلعها :

أرى بين الرماد وميض نار

وأخشى أن يكون له ضرامُ

فإن النار بالعودين تُذكى

وإن الحرب مبدأها كلامُ

فقلت من التعجب ليت شعري

أأيقاظٌ أمية أم نيامُ

ينظر ،ابن الأثير ، الكامل : 5 / 365-366 ،الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان :353 / 2 ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب : ص 349-350 ، الزركلي ، معجم الأعلام: 23 / 8

83. شعر ثابت قطنة : ص 48 .

84. خليف ، مي ، الالتزام في الشعر الأموي : ص 356

85. هلال ، محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، ط نهضة مصر ، القاهرة ، 1973 :ص 395 .

86. السويدي ، فاطمة ، الاغتراب في الشعر الأموي ، ص –54 55 .

87. فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 6 ، 1992 : 641 / 1 .

88. الأصفهاني ، الأغاني : 263 / 41 ، وينظر البغدادي ، خزانة

الأدب : 579 / 9 ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : 526 / 2 .

89. ينظر على سبيل المثال : الأصفهاني ، الأغاني : 14/ 263-283 ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : ص 527-526 ، البغدادي ، خزانة الأدب : 9/ 582-578 ، النص، إحسان :ص 403 ، الشايب ، أحمد ،تاريخ الشعر السياسي : ص290-289 ، نالينو ، كارلو : تاريخ الآداب العربية ص: 255-253 .

90. نالينو ، كارلو ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، ط دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1970 : ص 254 .

91. القصيدة رقم 11 في الديوان .

المراجع:

1- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ط، 1965.

2- الأخطل ، شعر الأخطل ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1979 .

3- الأصفهاني ، الأغاني ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

4- البغدادي ، عبدالقاهر، خزانة الأدب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط 1 ، 1981 .

5- البغدادي،عبد القاهر، الفرق بين الفرق. ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978.

6- البلاذري ، أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان ط الشركة المصرية الوطنية ، مصر ، 1318 هـ

7- التطاوي ، عبدالله ، مداخل ومشكلات حول القصيدة العربية القديمة ، ط دار غريب ، القاهرة ، ط 2 ، 1996 .

8- ثابت قطنة ، شعر ثابت قطنه العتكي ، تحقيق ماجد السامرائي، دائرة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1968 .

9- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط 2 ، 1999 .

10- حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب ، ط دار غندور للطباعة والنشر ، ط 9 ، 1994 .

11- الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ط دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1995 .

12- الحوفي، أحمد ، أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، 1965

13- أبو حاقة ، أحمد ، فن المديح ، ط دار الشرق الجديد ، بيروت ، ط 1 ، 1962 .

14- ...... الالتزام في الشعر العربي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1، 1979

15- جويو ، جان ماري ، مسائل فلسفة الفن المعاصر ، ترجمة سامي الدروبي ، دمشق ، د. ت.

16- الحوالي ، سفر بن عبدالله ، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، ط مكتبة الطيب ، القاهرة ، ط 1 ، 1417 هـ .

17- الزركلي ، خيرالدين ، معجم الأعلام ، ط دار العلم للملايين ، ط 12 ، 1998 .

18- زكي ، أحمد كمال ، دراسات في النقد الأدبي ، ط لونجمان ، ط 1 ، 1997 .

19- السويدي ، فاطمة ، الاغتراب في الشعر الأموي ، ط مكتبة مدبولي ، ط 1 ، 1997 .

20- الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ط 4 ، 1964.

20- الشمعة ، خلدون ، النقد والحرية ، دمشق ، 1977 .

21- ضيف، شوقي ، العصر الإسلامي ، ط دار المعارف، مصر، ط9، 1981

22- الطاهري ، علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ط امطبعة الأدبية ، مصر ، 1317 هـ .

23- عطوان ، حسين ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ، ط دار الجيل ، بيروت ، ط 1، 1974 .

24- الفريحات ، عادل ، إضاءات في النقد الأدبي ، ط دار أسامة ، دمشق ، 1985 .

25- فروخ ، عمر ، تاريخ الأدب العربي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 6 ، 1992 .

26- فهمي ، عزيز ، المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول ، تحقيق محمد قنديل ، ط دار المعارف ، مصر ، 1980 .

27- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ط دار الثقافة ، بيروت ، 1964 .

28- القاضي ، النعمان ، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ، ط دار المعارف ، مصر ، 1970 .

29- القط ، عبد القادر، في الشعر الإسلامي والأموي، مكتبة الشباب، 1980.

30- القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

31- كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 8 ، 1997.

32- المحاسني ، زكي ، شعر الحرب في أدب العرب ، ط دار المعارف ، مصر ، 1961 .

33- مركز دراسات الوحدة ، دور الأدب في الوعي القومي ، بيروت ، ط 4 ، 1986 .

34- نالينو ، كارلو ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، ط دار المعارف ، مصر ، ط 2 ، 1970 .

35- النص ، إحسان ، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، ط دار اليقظة العربي ة ، بيروت ، د.ت .

36- هلال ، محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث ، ط نهضة مصر ، القاهرة ، 1973 .

37- الهادي ، صلاح الدين ، اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، القاهرة، ط1، 1986 .